



– قال لي شاب يقظ: منذ عشرين سنة وأنت تتحدث عن الاختلاف في مجالسك وبرامحك ودروسك وكتبك فما النتيجة التي خرجت بها؟
– قلت له: لم أخرج بعد!
ما زال هم الاختلاف وإدارته بأخلاق وحكمة يحتل المقام الأول عندي لنجاح أي مشروع نهوض أو دعوة أو إصلاح.

على أني كأحد المتابعين لسجل الشبكات الاجتماعية أجد فيمن حولي عشرة مثالب في الحوار:
1- التكفير دون بصيرة لمن أصله الإسلام، وتجاهل الوعيد بأن الكفر يعود عليه إن لم يكن صاحبه كافراً، وأن الخطأ في الإبقاء على الإسلام خير من الخطأ في الإخراج منه، ولا أعلم في الكتاب والسنة نصاً يدعو إلى تكفير المسلمين أو مدعي الإسلام أو المنتسبين إليه، وباب التكفير مرجعه العلماء الراسخون، والحكم على أعيان الناس بالكفر مرجعه إلى القضاء العادل.

2- التفسيق؛ والفسق قرين الكفر، وهو يُطلق على أصحاب الكبائر الذين لا ينزعون ولا يبرعون عنها.
3- التبديع والتضليل، وقد يكون الفعل بدعة عند قوم وليس كذلك عند آخرين، وقد يكون سُنة خفية فرمي أهلها بالبدعة، وقد يكون بدعة ولكن لا يوصف صاحبه بأنه مبتدع؛ لأن السنة أغلب عليه.
4- التنفيق؛ أعني الرمي بالنفاق، وما أكثره على ألسنة المتسرعين المتشرعين، وكأنهم أخذوا عن حذيفة بن اليمان أسماء المنافقين، فهم يصدرون الحكم ويحللون عليه، وينسون أن الله وصف المنافقين بأنهم يحللون على الكذب وهم يعلمون، وأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً.

5- السب والشتّم والبذاء بألفاظ تتسامي الفطرة السليمة عن حكايتها، ولا تجري على ألسنة المهدّبين والمتّهبيين، ويعلم بالقطع أن الله لا يحب أن تنصر شريعته ولا يعظم مقام رسّله بمثلها!

6- التجهيل والتسفيه لمن يختلف في الرأي، ومؤداته أن المسفه على بُنْتَه وبصيرة، وقد يكون حديث عهد باستقامة، ويملك من الحماس والغيرة ما لا يملك من المعرفة!

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا * * وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

7- التخوين؛ وهو عادة ما يكون عند الحديث عن قضايا وطنية، فالمخالف فيه خائن لوطنه وعميل لأعدائه، وكأن عالمة الانتماء الصادق هي الولاء الأعمى، والاصطفاف في كل موقف ومتاسبة، والتصفيق دون تدقيق!

8- التحويين؛ وأعني به التشبيه بالحيوانات من الحمر، والبقر، والقرود، والكلاب.. وأشباهها من السائمة، أو من الطيور الحقيرة؛ كالرَّحْم، والغراب، والخفاش.. وقد كرم الله بنى آدم، واصطفاهم، ففضلهم على كثيرٍ من خلق تفضيلاً.

9- التهديد والوعيد في الدنيا بأن يظفر بك المخالف فيفعل بك وي فعل، أو التوعُّد بالآخرة والمثول بين يدي الله، وهو حق لا ريب فيه، ولكنه مشترك لا يخص أحداً من أحد: {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} (50,49) سورة الواقعة، ولا ينبغي أن تهدد به غيرك وكأنك أنت بمنجا منه.

10- الدعاء على المخالف بالشر، وهو نتاج التغطُّط والعصبية، وإن فقد قال - صلى الله عليه وسلم - : « اللَّهُمَّ اهْدِ دُوْسًا وَأَنْتَ بِهِمْ »، وقيل له: ألا تدعوا على الكفار؟ فقال: « إِنِّي لَمْ أُبَعِّثْ لَعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً » (رواه مسلم عن أبي هريرة). أما المخارج العشرة فهي:

1- الأخلاق حتى مع المخالف الأصلي، فما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا رحمة للناس كلهم؛ ليتم مكارم الأخلاق، وكانت وصيته الرفق في الأمر كله، {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ} (35) سورة فصلت.

2- الكلمة الطيبة، وهي صدقة، وهي أساس الدعوة الريانية النبوية بالحكمة والمواعظ الحسنة.

3- المجادلة والتي هي أحسن حتى مع أهل الكتاب، باستثناء الذين ظلموا واعتدوا واستحقوا الإعراض أو المدافعة بما يناسب.

4- التجرُّد وقبول الحق والإنصاف، وهو عزيز المثال، ولذا قال عمار: (ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعْهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ ؛ الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ ، وَالإِنْفَاقُ مِنْ الإِقْتَارِ) (رواه البخاري). والهوى والعصبية حاجز دون الحياد وقبول الحق، وأكثر الناس يتغَبَّبون للموروث دون تحرٍ ولا تحرير.

5- الاستماع والإنصاف، وقد أنصت النبي - عليه السلام - لزعماء قريش وهم يعرضون عليه المال والملك والزوجات مقابل التخلٰي عن دعوته حتى فرغوا، ثم قرأ عليهم القرآن، وعند الجدل تحدّم النّفوس، وتضيق الأخلاق، ولا يملك أكثر الناس الصبر وطول البال.

6- الصمت والسكوت حين يخرج الأمر من البحث العلمي إلى المسافهة والبداء، إذ لا يليق بالعاقل أن يُجاري السفيه، وقد قال (أبو تمام):

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ دَنِيَاً * * فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءُ

وفي السنة مشروعية الصمت عن رد السباب؛ كما في قصة أبي بكر الصديق، وكما في المرأة التي قالوا لها زنيت وسرقت وهي تقول: "حسب الله ونعم الوكيل"، وقبلها قصة مريم: {فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِرَحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكُلَّ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} (26) سورة مريم.

7- العفو والصفح بتحرير الباطن من الغيظ والحدق على من ظلمك أو سبك أو شتمك أو تجاوز في حقك؛ احتساباً للأجر، وتدريباً للنفس على المكارم، وهو مقام أعلى من مجرد السكوت والإعراض.

8- الدفع والتي هي أحسن، وهو في ثلاثة مواضع من كتاب الله، وهو حقيقة القوة والتمكّن من النفس وامتلاك زمامها، فالشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.

9- رد الأمر إلى عالمه - سبحانه - {وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (85) سورة الإسراء، وليس من الحكمة أن يتكلم المرء في كل مسألة وحادثة، ولا يُعلِّق على كل قول، ومنْ تَرَكَ "لَا أَدْرِي" أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ، ونصف العلم "لَا أَدْرِي"، ولا يزيد الله العبد

بهذه الكلمة إلا عزًّا ورفعة.

10- الدعاء لأخيك المسلم بالحضور والغيبة بخير الدنيا والآخرة، وسيدعوك لك من هو خير منك، وتتمنى أن تسمعه من فوق رأسك: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ} (10) سورة الحشر.

الإسلام اليوم

المصادر: